مقاصد الشريعة عند محمد سعيد رمضان البوطي (ت ٢٠١٣م):

دراسة تحليلية تطبيقية

الباحث د/ ميثاق صادق محمود المليكي

هذه الدراسة نلت بها الدكتوراة من قسم الفقه وأصوله

جامعة ملايا ماليزيا (٢٠١٨م)

نبذة مختصرة عن البحث ونتائجه

وهي دراسة تحليلية تطبيقية لمقاصد الشريعة عند محمد سعيد رمضان البوطي (٢٠١٣م) باعتباره أحد الشخصيات الإسلامية المشهورة التي صارت فتاواه مثار جدل في الآونة الأخيرة من حياته، رحمه الله.

وهدفت الدراسة بعمومها إلى التالي:

١- الكشف والاستقراء عن شخصيته ومكانته العلمية.

٢- التعرف على العلماء الذين تأثر بفكرهم وسلوكهم.

٣- بيان آراء البوطي في المقاصد وأنواعها ورتبها.

٤- إظهار الطرق التي كشف بها عن مقاصد الشريعة الإسلامية.

٥- تتبع السمات والأسس التي تميزتْ وأُدركتْ بها مقاصد الشريعة عنده.

٦- ابراز خصائص ومميزات الفتاوى المقاصدية عند البوطي.

٧- تحليل وأبرز التطبيقات في الضروريات والفتاوى، والمواقف الشرعية.

واعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي، من ناحيتين، جمع البيانات والمعلومات الموثقة من مختلف كتب البوطي وممن ترجم عنه أو كتب له، ثم الكشف عن تاريخ المقاصد في المؤلفات الأصولية حتى مرحلة تدوينها وتأليفها، وذلك من زمن الإمام الشاطبي حتى الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، واستخدمت المنهج الاستقرائي في البحث عن مقاصد الشريعة عند البوطي، وذلك من خلال مؤلفاته ومقالاته وخطبه والمجلات والمؤتمرات الدولية وشبكة النت والمحاضرات، وجعلها بجانب نظري وتطبيقي.

وبعد السير في هذه الدراسة وتوفيق الله تعالى وإعانته للباحث بجمع واستقراء آراء البوطي في مقاصد الشريعة من ثنايا كتبه، والقيام بتحليلها، ومناقشتها بأقوال العلماء، وجعلها في بحث شامل متكامل

تجلت فيه شخصيته العلمية وظهرت فيه إسهاماته في المقاصد العامة والخاصة، وارتبط الجانب النظري بالجانب التطبيقي، والكمال لله في ذلك، توصل الباحث إلى جملة من النتائج، هي كالتالي:

- ولد الشيخ البوطي في بيئة علمية روحانية، وكان لهذه البيئة أثر واسع في شخصيته وحياته فقد جعلتْ حياته العلمية والعملية حافلة بالعبادات، والدعوة إلى الله على مستوى المساجد والجامعات والمحافل والمؤتمرات العالمية.
- ظهرت الحياة العلمية للبوطي من تتبعه للكثير من المؤلفات المتنوعة، بالقراءة والتدقيق والاتعاظ والتدبر حتى استدرك عليها، ودافع على بعضها مما نسب إليها من أفكار وأقوال من بعض الكُتاب؛ وذلك مما زاد من معرفته العلمية، وقوى قدرته المقاصدية، وأكسبه قدرة فائقة على ربط القديم بالجديد، كتحليله لفقه السيرة النبوية وربطها بالمقاصد، وكتقييده للمصلحة بالضوابط الشرعية وهذا مما ساعده على الحضور الدائم في أغلب المحافل العالمية العلمية والفكرية.
- استفاد من مشائخه وبالخصوص أبيه ملا رمضان البوطي، وكانت عن طريق التلقي حسا وروحا، وكذلك ممن دقق في كتبهم كالإمام الغزالي، والإمام الشاطبي وغيرهم من العلماء وأثرت طريقتهم في حياته العلمية والسلوكية والأخلاقية، بل إن هذا التأثير هو الذي قوى قدرته العلمية، وفتح مداركه العقلية.
- اهتمام البوطي لم يكن مقتصرا على فن علمي واحد بل تعدد فنونه ومعارفه العلمية، فله مؤلفات في العقيدة والتصوف، وأصول الفقه، والفتوى، السلوك، وقضايا الساعة.
- بدأ التدوين والتأليف لمقاصد الشريعة كعلم مستقل، على يد الإمام الشاطبي بتأليف كتاب الموافقات، ولكل عالم وفقيه دوَّن في المقاصد موقع ومسار تأريخي، ولقد ساهم البوطي في المقاصد بمساهمات متنوعة منها ضبطه للمصلحة في الشريعة الإسلامية بضوابط، وبالإشارة لما نثره في مختلف مؤلفاته عن بعض الأقوال والآراء والدلالات الدالة على المقاصد العامة ومقاصد العقائد، ومقاصد العبادات ومقاصد العقوبات، وكان في القرن الحادي والعشرين بعد الدكتور: محمد أحمد مصطفى المعروف بأبو زهرة المقلب بالأزهر الثاني، ومؤلف كتاب أصول الفقه.
- تنوعت المقاصد عند البوطي إلى مقاصد عامة ومقاصد خاصة والمقاصد العامة مقاصد أساسية استاق مفهومها من الإمام الغزالي، ومقاصد متممة كاليسر ورفع الحرج، والرحمة والعدالة، غير أنه

زاد شرطا في مقصد الرحمة بأن تكون وافيه بمصالحهم ومتكفلة بإسعادهم وجعل العدل عاما في كل شيء.

- المعرفة الربانية، والوحدة الإنسانية، هما الغاية العظمى من المقاصد العامة عند البوطي؛ إلا أن المعرفة الربانية غاية الغايات، والوحدة الإنسانية غاية لها؛ وأكد البوطي في اعتبار كون المعرفة الربانية غاية عظمى، ولابد من اعتبارها ككلية، وذلك لمقصدين ينكشفان من خلال الاستقراء والمتابعة، وهما إظهار عظمة المعرفة الربانية، والإثارة والتذكير.
- توسع البوطي في الحديث عن المقاصد الخاصة وأسهب فيها وظهر ذلك جليا في حديثه عن مقاصد العقائد، حيث فاق العلماء بفك الخمول، والوهن الذي أصاب مقاصد العقائد وعلل مسائلها، وذلك بسبب تغيب البعد المقاصدي عنها، وكان الهدف والقصد من حديثه حول العقائد والصفات، وهو تنزيه الله تعالى عن أضداد الصفات ونقائضها، نفي العلة الغائية عن أفعاله جل جلاله وتثبيت العقيدة في النفوس، وربط الناس برحمته ومغفرته، وربط الناس بالغيبيات وإزالة الشبهات، ورد الآراء التغريبية.
- لم يختلف مفهوم المصلحة عن مفهوم المقاصد عند البوطي، فهما شيء واحد وأدلتهما واحد وهذا ما ظهر عند أئمة المقاصد، ومنهم الإمام الغزالي والشاطبي.
- المصلحة المرسلة جزء من المقاصد الشرعية المعتبرة عند الشارع وهي مقبولة باتفاق الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة، وهي مرتبطة بالمقاصد من حيث كونها منفعة، تؤدي إلى خدمة مقاصد الشارع، وهذا ما جعل مؤلفاته ثرية بالمسائل المرتبطة بالمصالح المرسلة.
- للبوطي أربع وسائل ساعدته في الكشف عن المقاصد وهي محل وفاق بين المتفقهين، ومثالا يُحتَذى به توصل لها الباحث من خلال الاستقراء في ثنايا مؤلفاته، وتتمثل في: الاستقراء والعقل والاقتداء بالصحابة، واللغة العربية، وهي ما جعلت كتبه ثرية بالتعليل، وذكر السبب والحكمة من الأحكام الشرعية، وفهم النوازل المعاصرة ومعرفة مقاصدها.
- اتسمت ضوابط المصلحة عند البوطي بسمات منها حصر مقاصد الشريعة بخمسة دون زيادة، مرتبةً تأثراً بأغلبية أئمة مقاصد الشريعة، ومنهم الإمام الغزالي، فكان ذلك التأثر سببا لترتيبه للكثير من الأحكام وفق مقاصد الشريعة، ووفق الترتيب الذي سار عليه أعلام المقاصد، ثم رَبط فيها مقاصد المكلف بمقاصد الشرع، متأثرا بالإمام الشاطبي، وضبط علاقة الضروريات بالحاجيات

والتحسينات، ثم ضبط مفهوم المصلحة المرسلة، وعلاقتها بالمقاصد فقد أسقط ما تشبث فيها مما هو ليس منها، ودقق فيها وحللها ابتداء من الصحابة حتى الأئمة الأربعة حتى أثر عليه ذلك التحليل والتنظير فقال: أن المصلحة المرسلة مقبولة باتفاق الصحابة والتابعين وتابع التابعين.

- تمثلت أسس إدراك المقاصد عند البوطي، بصفاء القصد، والنظر في المسمى لا ظاهر اللفظ والحضور الروحي للوقائع النبوية، وإتاحة الحرية للفكر، ومطابقة التصورات المقاصدية بحقائق الإسلام، وسعة التبصر بثقافات العصور الخالية، ومعرفة مبادئ الجدل، والاستقرار النفسي والفكري، وهي ما جعلت الأحكام عنده موزونة بمقاصدها وعللها ومربوطة بضوابط الشريعة وقواعدها، ومتسمة بفقه المألات، وأثرها.
- ارتبط الجانب النظري عند البوطي، بالجانب التطبيقي في مواقفه وفتاواه الشرعية، وظهر ذلك جلياً في الضروريات والحاجيات والتحسينيات.
- ظهرت تطبيقات الدين من جانب العدم عند البوطي، في التحذير من البدع، والتحذير من السياسية ممن يستخدمها في الدين، ويُغَلِبُ فيها الجانب السياسي في مناوراته السياسية فالأولى أن يبدوا بالالتزام بدين الله، والسعي لفعل الخير، ومن ثم يصطبغ بعد ذلك الحكم آليا بصبغة الإسلام ونظامه.
- مواقف البوطي في فتواه ومواقفه انطلقت وفق أحكام وغايات ومقاصد الشريعة الإسلامية.
- بالنظر في فتاوى البوطي ومواقفه نجد أن البوطي مفت نادر في عصره، فقد تميزت فتاواه بخمس سمات تتمثل في الأمانة العلمية، سلوكه طريق أهل النمط الأوسط، دقة النظر بالمسائل الفقهية والأحكام، مراعاته للقواعد الشرعية كالضرورة ورفع الحرج، جمعه بين ظاهر الشريعة وروحها.
- يرى البوطي جواز الخروج على الحاكم في حالة ما إذا وجد من قبل الحاكم ما يدل على الكفر البواح، ويرى عدم الخروج على الحاكم في عدة مواقف عندما لا يعتمد الخارجون على مستند شرعي، بل مبررات مزاجية نفسية تتعارض مع قواطع النصوص، والأدلة، وعندما لا يدخل خروجهم في باب الجهاد ولا ينطبق عليهم تعريفه الذي هو جهاد الكلمة الذي يشير إليه رسول الله ـ ﷺ ـ في الحديث النبوي الشريف، وعند مخالفتهم لقول رسول الله ـ ﷺ ـ من خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها فليس مني.

- نظرته إلى الفتنة والحرب الواقعة في سوريا مستقلة وشرعية وذلك من جانبين: من جانب عمومي وهي ما ستكون مفسدته عامة تشمل الدين والعقيدة، والإنسان والأرض والمال وهي التدخلات الأجنبية، والقاعدة تقول: (إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشرع دفع أشد الضررين وأعظم الشرين)، من جانب خصوصي. وهي ما ستكون مفسدته خاصة، والقاعدة المعروفة تقول: (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما.
- بُنِيتْ فتوى البوطي في السجود على صورة بشار الأسد على جانبين، الجانب الأول جلب مصلحة خاصة عائدة على المأمور بالسجود وهي عدم القتل واجتناب الكفر، والجانب الثاني جلب مفاسد عامة عائدة على العامة والخاصة، وهي ارتفاع وزيادة العداوة والبغضاء ضد النظام بين المسلمين فيما بينهم البين، وتنافت مع مبدأ الحرية والعدالة، فهناك الكثير ممن شعر بالعبودية، وعدم الحرية وهناك من يشعر بالظلم والكهنوت، وهناك الكثير ممن أحرق كتب البوطي وذلك كما وقع في مدينة دير الزور، ولعل ما حمله على ذلك هو بناء الفتوى على القصد تأثراً بفتوى الإمام الزركشي في كتابه أعلام الساجد في أحكام المساجد.
- لم تكن رؤية البوطي للمسيرات والمظاهرات والهتافات المستفزة رؤية مستقلة وخاصة، بل رؤية للمألات فإيقافها عنده ضرورة حتمية لكونها ذريعة إلى الوصول إلى فتنة وستتفاقم لتنتهي بحرب أهلية لتهلك الحرث والنسل والمال.
- موقفه من الجماعات الإسلامية منضبط بضوابط الشريعة الإسلامية، ومراعة مقاصدها وتتمثل هذه المواقف في التالي:
- موقف البوطي من الوهابية وقف ضد كل ما تروجه الوهابية من المخالفات التي تخالف مقاصد الشريعة، ومضمونها؛ أما العقيدة فهم في فكره مسلمون وعلى عقيدة إسلامية، غير هناك قليلاً منهم ممن يتقاضون أموالا لنشر الخلافات والتفرقة والتكفير بين المسلمين بحجة الغيرة على الإسلام حتى يهتاجوا ويتحول الهيجان إلى صراع.
- موقف البوطي من جماعة التبليغ فقد كان يعتقد بسلامة منهجيتهم مبينا أنهم لم يأخذوا العلم بوزنه وثقله أولا، ثم يخرجون إلى الدعوة إلى الله، وهذا إشارة بحال كونهم ينقصهم العلم وهذا الموقف يشبه موقف العلامة الألباني بوصفه لهم بنقصان العلم ولا يعلمون الناس، ويدل ذلك أن موقف البوطي موافق لموقف معارضيه من جماعة التبليغ.

- يعتبر البوطي جماعة الصوفية جماعة سنية إلا أن موقفه كان قائماً على مبدأ سنة المواقف إذا رأى خطأ نبه له وأرشد إلى تصحيحه، وبادر إلى معالجته، وإن رأى صوابا لم يخل بضوابط الشريعة ومقاصدها سكت عنه، بل كان أحد المتصوفة.
- وفي ختام هذه النتائج يظهر إن للبوطي رأيا في المقاصد وأقسامها وفي ترتيبها وانحصارها وطرق الكشف عنها، وأسس إدركها وفي بناء الفتوى عليها، وبناء على ذلك جعل المعرفة الربانية كلية من الكليات ومن ثم بناء فكره المقاصدي عليها.

والله ولي التوفيق والهداية...

الباحث د/ ميثاق صادق محمود المليكي

الجنسية: (اليمن)

محل الإقامة: ماليزيا.

رقم التلفون: ٠٠٩٦٧٠١١١١٤٢٩٧٢٤

الايميل: mithaq1990@gmail.com